الفرع الثاني

تسابق الصحابة ﷺ في الاستجابة والمسارعة في الوقف

فهم أصحاب رسول الله ﷺ الإسلام فهماً سليماً واضحاً ومن فهم الصحابة ﷺ للإسلام أن العمل والكسب مصدر هام للإنفاق على النفس والمال، أو من يعولهم وللترفع عما في أيدي الناس، وكذلك للإنفاق في سبيل الله؛ ولذا لم يدخروا وسعًا في سبيل ذلك وكانوا سبَّاقين في فعل الخيرات.

"لقد كانت أفعال الرسول ﷺ واستجابة صحابته الكرام ومن بعدهم من السلف الصالح في القرون الأولى للإسلام، للنصوص الشرعية التي ترغّب في الوقف والصدقة قوية جداً، بل فيها أعظم الصور وأقواها دلالة على حب الإنفاق والمسارعة في الخيرات؛ فقد أوقف الرسول الهادي والقدوة الحسنة للمؤمنين ﷺ سلاحه ودابته وأرضًا له إذ أخرج البخاري رحمه الله عن عمرو بن الحارث ﷺ أنه قال:"ما ترك النبي ﷺ إلا سلاحه، وبغلة بيضاء، وأرضاً جعلها صدقة"[1].

بل كان أوضح وقف في الإسلام هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة فقد أخرج البخاري ومسلم رحمهما الله- عن أنس ﷺ قال:"أمر النبي ﷺ ببناء المسجد فقال: يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله" [2] فقام هذا المسجد بوظيفة عظيمة في نشر الإسلام والدعوة إليه وتعليمه للناس هذا، وكان رسول الله ﷺ يحض أصحابه على الصدقة والوقف في سبيل الله ويرغبهم في هذا العمل، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ:(من احتبس فرساً في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقًا بوعده فإن شبعة وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة) [3]

---

(١) صحيح البخاري- كتاب الجهاد - باب ((من يذكر السلاح عند الموت)) ح٢٩١٢-ص٥٥٩ .

(٢) صحيح البخاري- كتاب الوصايا- " باب إذا وقف جماعة أرضًا مشاعًا فهو جائز" ح ٢٧٧١، ٢٥٨/٣.

(٣) سبق تخريجه ص٣٠.

وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ سباقين إلى كل خير[1] حريصين على تطبيق النصوص الشرعية وما تعلموه من قدوتهم محمد ﷺ، فما مات أحد منهم إلا وقد أوقف في سبيل الله تعالى يقول جابر رضي الله عنه:"لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقف" [2]

"لم يكن طلب العلم في صدر الإسلام عملاً مستقلاً واختصاصاً ينصرف إليه وإنما كان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون العلم عن طريق الكتاب والسنة القولية والفعلية والتقريرية فلما استقلت الدراسة العلمية في العصور التالية لعصرهم – وبخاصة في هذا العصر- عصر التقنية الحديثة واحتاجت إلى مؤسسات خاصة وجوّز الفقهاء أيضاً أخذ الأجور على القيام بالواجبات والشعائر الدينية العامة من تعليم القرآن الكريم والعلم والقيام بالإمامة والخطابة والأذان لضرورة إحيائها خوفاً من تقاصر الهمم عنها.

اتجه الوقف اتجاهاً جديداً في هدفه نحو المؤسسات العلمية وأهل العلم والدعاة والقائمين على أمر الدعوة لكفالة الدعاة والقيام على أمورهم »[3] .

"ولقد جاء السلف الصالح من هذه الأمة في قرونها الأولى فاقتدوا بالصحابة وساروا على نهجهم؛ فأوقفوا الأوقاف الكثيرة وتنوعوا فيها بحسب حاجة زمانهم وظروف عصرهم وبيئاتهم فأوقفوا الأوقاف على المساجد لصيانتها ودفع مرتبات الأئمة والوعاظ والعاملين بالمساجد" [4] .

"وأوقفوا على المكتبات والمدارس والكتاتيب التي تلحق بالمساجد، لتعليم القراءة والكتابة واللغة العربية والعلوم الرياضية، وأوقفوا الأوقاف على الدعاة والمعلمين الذين يزورون المساجد والسجون وغيرها من الأماكن التي يجتمع بها الناس لتعليمهم ودعوتهم إلى الله تعالى"[5].

---

(١) انظر: وقف عمر بن الخطاب وعثمان رضى الله عنهما وغيرهما من أصحاب رسول الله ﷺ في الفصل التمهيدي.

(٢) المغني لابن قدامة ٨/١٨٥.

(٣) الوقف مشروعيته وأهميته الحضارية –د. أحمد بن يوسف بن أحمد الدريوش ص ٣٥-٣٦.

(٤) سير أعلام النبلاء – محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم ١٧/٢٥٧، ٢٣/١٦٣ -ط٩-١٤١٣هـ ط مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٥) انظر: دور الوقف في العملية التعليمية-د. عبد الله بن عبد العزيز المعيلي – ص١٧-١٩.

"وغير ذلك مما يدلنا على مدى ما بلغه المسلمون من تقدم فكري وسمو في العاطفة ونبل في الأخلاق" [1].

"إن المتتبع لمسيرة الوقف التاريخية في المجتمعات الإسلامية يجد أنه قام بوظائف عظيمة في التنمية الاقتصادية والحضارية والمدنية في جميع المجالات والميادين الحياتية، ولا ريب أنه كان للوقف دور هام في دعم متطلبات الوسائل والمناشط الدعوية وإيجاد الاقتصاديات الثابتة والدائمة لها، الأمر الذي أدى إلى زيادة فاعلية تلك الوسائل والمناشط، واتساع أعمالها وشمولية خيرها للناس.

ولقد كفل الوقف للعديد من العلماء، ودعاة الإصلاح ورواد التجديد وحرّاس العقيدة فرص العيش الكريم مع ضمان الاستقرار وهدوء البال وراحة الضمير حتى يؤدوا رسالتهم الدعوية على الوجه المطلوب في عز وشهامة واعتزاز بالدعوة الإسلامية الصحيحة التي يضطلعون بتحمل أعبائها.

لقد كان للوقف وظيفة عظيمة، في حمل الدعوة وتبليغها، وإن الدعاة والعلماء والفقراء في مختلف العصور قد تحرروا عن طريق الوقف وما يتقاضونه من إدارته في شكل مساعدات من قبضة عبء الوظيفة وضغط المرتبات الرسمية؛ حيث إنهم عصموا من رق الإدارة وتحرروا من فتنة المسؤولية والتبعية والقيود فتمكنوا بذلك من القيام بواجبهم وتبليغ رسالة الله تعالى" [2].

---

(١) صور من علاقة الوقف بالدعوة إلى الله تعالى مقارنة بين الماضي والحاضر-د. خالد بن عبد الرحمن القريشي – ص ١٦ مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية- جامعة أم القرى- ١٤٢٢هـ- مكة المكرمة.

(٢) الوقف في الفكر الإسلامي- محمد بن عبد العزيز بن عبد الله-١/٢٩-٣٠.